كيف تصبح شاعرًا .. رؤية شخصية

كنت منذ حداثة سنِّي محبًّا للشعر شغوفًا بأطايبه، وكان له في نفسي تقديرٌ وهيبةٌ تُبْقِيني منه في موقع القراء والمتذوقين دون أن أتجرَّأ على أن أخط بقلمي شطرًا واحدًا فيه..، حتى التقيت وأنا طالبٌ بالمرحلة الثانوية بمدرسٍ للغة الإنجليزية كان شاعرًا أصيلاً مطبوعًا غزير الإنتاج، ولكنه كان من المواهب النادرة التي تهرب من الأضواء، وسمحت له ثقافته المزدوجة بالاطلاع على كمٍّ هائل من الإبداعات الشعرية حتى أنه كان يترجم الشعر الإنجليزي – بما فيه مسرحيات شكسبير – إلى العربية شعرًا وبالعكس..، أحببته كثيرًا واقتربت منه وأغراني قربي منه باستجلاب شيطان القريض فسألته يومًا: "كيف يصبح المرء شاعرًا ؟!"..، فقال لي:"أول ما ينبغي عليك أن تعرفه هو أن الشعر كأي إبداعٍ فني أو أدبي هو موهبة.. والدراسة والاطلاع والخبرة عوامل تُصْقِل هذه الموهبة وتنميها، ولكنها لا تخلقها..ثم عليك أن تعلم أن المادة الخام التي يرسم بها الشاعر لوحاته هي اللغة، فعليك أن تتقن اللغة العربية وتستوعب قواعدها النحوية وفنونها البلاغية، واعْرِفْ ما استطعت من مفرداتها الثَّرَّة الغزيرة.ثم القراءة فيها بدءاً من أعظم كتابٍ وهو القرآن الكريم المعجز في بيانه، ثم كلام أفصح البلغاء الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ.. ثم ما تستطيع من إبداع الأدباء نثرًا وشعرًا مع الاهتمام بالشعر على مَرِّ عصوره من امرئ القيس والأعشى وكعب وحسان وحتى ناجي والشابي وأبو ريشة والجواهري..وأن تدرس العروض ودواوين فحول الشعراء كالمتنبي وأبي تمام والفرزدق وابن زيدون والبارودي وشوقي وإيليا وقباني قراءة وحفظًا ومعايشةً ومعاناة..ثم اعلم أن الشاعر ينبغي له أن يكون مثقفًا ثقافةً عامة واسعةً وعميقة.. ونظرةٌ تأمل منك في ديوان الشوقيات ستقنعك بأن الشاعر المتمكن هو من لا يحبس نفسه أسيرًا لكتب الأدب، بل يقرأ في الدين والعلم والطب والحب والحرب والتاريخ والسياسة والاجتماع والرياضة وغيرها بالإضافة إلى آداب الأمم الأخرى..كما أن الشاعر الصادق هو الذي يتفاعل مع البشر ويعيش الحياة بِحُلْوِها ومُرِّها فيكابد لأْواءَها ويسعد بعطاياها، وأخيرًا اعلم أن القصيدة التي يمكنك أن تخرج بها على الناس زاعمًا أنها شعرٌ لن تكون بحالٍ قصيدتك الأولى.. فلتجرب ولتمزق ولتحتفظ فتصحح وتنقح وتستشر وتُقَوِّم حتى تشعر أنت أنك أمام شعرٍ لو قرأته أنت لغيرك لأعجبك ونال رضاك".ربع قرنٍ من الزمان ضَيَّعَتْهُ مني نصائح هذا الأستاذ المخلص والشاعر الصادق لم أُنْتِجْ فيها بيتًا واحدًا ينال إعجابي كقارئ ويرضيني كمتذوق.. حتى اطلعت على ما يُسمى بالشعر الحداثي ويوصف منتجوه في المحافل الأدبية بأنهم شعراء وشر البلية ما يضحك (ولكنه ضحكٌ كالبكاء).. فقررت أن أغير مفهومي للشعر.لذا دعني الآن يا أستاذي أُجِب عن السؤال الذي طرحته عليك منذ ربع قرن ليس بمثالياتك ولكن بلغة العصر..، "فأما عن الموهبة فلا أظن أن لها تلك الأهمية التي أعطيتها إياها فأي موهبة تلك عند مطربي الكاسيتات ومغنيات الفيديو كليب وممثلي أفلام المقاولات وغيرهم ممن يتبوءون الصدارة في وسائل الإعلام..إن هؤلاء يؤكدون أن الترجمة العصرية للمثل القديم "قيراط حظ ولا فدان شطارة" هي "قيراط علاقات ومصالح ولا فدان موهبة ودراسة"، ونحن لسنا خارجين عن هذا الإطار فلنركب تلك الموجة التي تناسب مواهبنا المتواضعة..أما اللغة العربية التي تقصدها لغة سيبويه والجاحظ فلا حاجة لنا بها بعد أن حَلَّت محلها ثقافة مادونا وجاكسون ولغة الفيديو كليب، وما نقدمه من شعر حداثي أهون من ذلك..، وأما القرآن والسنة فلا شأن لنا

أشرف سالم